الفصل السادس

ما ولا ولات وإن المشبهات بليس

معنى (ما) النافية :

أشار الزَّجَّاج إلى أن (ما) النافية بمعنى ليس في توجيه قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[1] حيث قال :" أجود الوقوف على (ويختار) وتكون (ما) نفيا ، المعنى : ربك يخلق ما يشاء ويختار وليس لهم الخيرة ، وما كانت لهم الخيرة ، أي ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل ، هذا وجه ، ويجوز أن يكون (ما) في معنى الذي ، فيكون المعنى:ويختار الذي لهم فيه الاختيار ، وهو ههنا ما يتعبدهم به ، أو يختار فيما يدعوهم إليه من عبادته ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجود أن تكون (ما) نفيا "[2].

إعمال (ما) النافية عمل ليس :

تحدث عنه الزجاج في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[3] وفيه يقول : " هذه القراءة المعروفة ، وقد رويت : ما هذا بشرى ، أي : ما هذا بعبد مشترى ، وهذه القراءة ليست بشيء ؛ لأن مثل (بشرى) يكتب في المصحف بالياء ، وسيبويه [4] والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمون أن (بشرا) منصوب خبر (ما) ويجعلونه بمنزلة (ليس) ، و(ما) معناها معنى (ليس) في النفي ، وهذه لغة أهل الحجاز ، وهي اللغة القدمى الجيدة ، وزعم بعضهم أن الرفع في قولك : ما هذا بشر أقوى الوجهين ، وهذا غلط ؛ لأن كتاب الله ولغة رسوله ﷺ أقوى الأشياء وأقدر اللغات ، ولغة بني تميم : (ما هذا بشر) ، ولا يجوز القراءة بها ، ولا قرأ بها أحد ؛ لأنها خلاف المصحف ، ولم يجز أن يقرأ بها إلا برواية صحيحة ، والدليل على ذلك إجماعهم على : ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾[5] ، وما قرأ أحد : ما هن أمهاتُهم " [6] .

---

(١) القصص /٦٨ . (٢) معاني القرآن وإعرابه٤/١٥١، ١٥٢. (٣) يوسف /٣١ .
(٤) الكتاب ١/٥٩ . (٥) المجادلة /٢ . (٦) معاني القرآن وإعرابه٣/١٠٧، ١٠٨.

قلت :

١- نصب (بشرا) في القراءة متفق عليه بين القراء السبعة ، وأما القراءة برفع (بشر) فالظاهر أن الزجاج لم يطلع عليها أو اطلع عليها ولم يعتد بها ، فيكون قوله : "ولا قرأ بها أحد " مراده به أحد قراء الأمصار المشهورين ، وهي قراءة تنسب إلى عبد الله بن مسعود [١] ، وقد نفى القراءة بها أيضا ابن عطية [٢] .

٢- ما تقدم في كلام الزجاج من وصف لغة أهل الحجاز في إعمال (ما) عمل ليس بأنها اللغة القدمى الجيدة نسبه أبو حيان [٣] وغيره [٤] إلى الزمخشري ، وهو ـ كما ترى ـ من كلام الزجاج .

٣- في كلام الزجاج هنا تخطئة للفراء وإن لم يصرح باسمه ، إذ هو المراد بقوله : " وزعم بعضهم أن الرفع في قولك : (ما هذا بشر) أقوى الوجهين " ، وذلك موجود في معاني الفراء [٥] .

الموضع الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [٦] وفيه يقول : " (أمهاتهم) في موضع نصب على خبر (ما) ، المعنى : ليس هن أمهاتهم " [٧] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [٨] وفيه يقول : " هذه مسألة من أبواب النحو تحتاج إلى تبيين ، قوله : (أنت) هو اسم (ما) ، و(مجنون) الخبر ، و(بنعمة ربك) موصول بمعنى النفي ، المعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك ، كما تقول : أنت بنعمة الله فَهِمٌ ، وما أنت بنعمة الله بجاهل ، وتأويله : فارقك الجهل بنعمة الله " [٩] .

إعمال (لا) النافية عمل ليس :

تعرض الزجاج لهذه القضية في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [١٠] وفيه يقول : " ويجوز : فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج ، وبعضهم

(١) الكشاف ٣٦٤/٢ .
(٢) المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ ، وانظر : البحر المحيط ٣٠٤/٥ .
(٣) البحر المحيط ٣٠٤/٥ .
(٤) انظر : انظر روح المعاني ٢٣٢/١٢ .
(٥) ٤٢/٢ .
(٦) المجادلة /٢ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٣٤/٥ .
(٨) القلم /٢ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٥ .
(١٠) البقرة /١٩٧ .

يقرأ ـ وهو أبو عمرو ـ فلا رفثٌ ولا فسوقُ [1] ولا جدالَ في الحج ، وكل صواب ، وقد شرحنا أن (لا) تنصب النكرات بغير تنوين ، وبينا حقيقة نصبها [2] ، وزعم سيبويه والخليل [3] أنه يجوز أن ترفع النكرات بتنوين ، وأن قول العجاج :

تا الله لولا أن تحش الطبخ

بي الجحيم حين لا مستصرخ [4]

يجب أن يكون رفع (مستصرخ) بـ(لا) ، وأن [5] قوله :

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح [6]

وحقيقة ما ارتفع بعدها عند بعض أصحابه على الابتداء ؛ لأنه إذا لم تنصب فإنما يجرى ما بعدها كما يجرى ما بعد (هل) ، أي لا تعمل فيه شيئا ، فيجوز أن يكون (لا رفثٌ) على ما قال سيبويه ، ويجوز أن يكون على الابتداء كما وصفنا ، ويكون (في الحج) هو خبر لهذه المرفوعات ، ويجوز إذا نصبت ما قبل المرفوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعا أن يكون عطفا على الموضع ، ويجوز أن يكون رفعه على ما وصفنا ، فأما العطف على الموضع إذا قلت : لا رجلَ ولا غلامٌ في الدار فكأنك قلت : ما رجل ولا غلام في الدار " [7] .

قلت : يتفق السبعة القراء هنا على فتح اللام في (جدال) ويختلفون في (لا رفث ولا فسوق) ، فنافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يتفقون على القراءة بالفتح في آخر الكلمتين ، وابن كثير وأبو عمرو يتفقان على قراءته بالضم والتنوين فيهما [8] .

---

(١) هذا هو الثابت من قراءة أبي عمرو ، ووقع في نسخة المعاني المطبوع : (ولا فسوقُ) بضم القاف ، والمروي عن أبي عمرو هو ضمها وتنوينها ، وانظر تقريب النفع ص٩٥ ، والحجة لأبي علي ٢٨٦/٢ .

(٢) جاء ذلك عند توجيه قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وسيأتي ذكره في فصل لا النافية للجنس .

(٣) انظر : الكتاب ٣٠٣/٢ .

(٤) من مشطور الرجز ، وهما في ديوانه ص٤٥٩ ، وانظر اللسان (حشش) و(طبخ) ، والكتاب ٣٠٣/٢ ، ٣٠٤ ، ويقال : حش النار : جمع إليها ما تفرق من الحطب ، وقيل : أوقدها ، وأراد بالطبخ (جمع طابخ) الملائكة الموكلين بالعذاب .

(٥) كذا في المعاني المطبوع ، ولعل صوابها : وكذا .

(٦) من الكامل المجزوء ، وهو من شواهد الكتاب ٥٨/١ ، وينسب فيه لسعد بن مالك القيسي ، وانظره في اللسان (برح) والخزانة ٤٦٧/١ : ٤٧٤ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٠/١ ، ٢٧١ .

(٨) ينظر الحجة لأبي علي ٢٨٦/٢ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[1] : " لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ ، ويقرأ : لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ بالنصب ، فمن رفع فعلى ضربين : على الرفع بالابتداء ، و(فيها) هو الخبر ، وعلى أن تكون (لا) في مذهب ليس رافعة ، وأنشد سيبويه [2] :

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح [3]

ومن نصب فعلى النفي والتبرئة كما قال : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [4] إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كررت (لا) في هذا الموضع الرفع ،والنصب عند جميعهم جائز حسن"[5].

وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [6] : " (عدوان) منصوب بـ(لا) ، ولو قرئت (فلا عدوانٌ علي) لجاز من جهتين ، إحداهما أن تكون (لا) رافعة كـ(ليس) كما قال الشاعر :

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح

ويجوز أن يكون (عدوان) رفعا بالابتداء ، و(على) الخبر ، وتكون (لا) نافية غير عاملة، كما تقول : لا زيد أخوك ولا عمرو " [7] .

إعمال (لات) عمل ليس :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [8] ، وقد أورده بنصب (حين) وقال : " ويجوز : ولات حينُ مناصٍ ، والرفع جيد ، وقد أجازوا الجر فقالوا : لات أوانٍ ، وأنشدوا لأبي زبيد :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حينَ بقاءِ [9]

فأما النصب فعلى أنها عملت عمل ليس ، المعنى : وليس الوقت حين مناص ، ومن رفع بها جعل (حين) اسم ليس وأضمر الخبر على معنى : ليس حين منجى لنا ، ومن خفض جعلها مبنية مكسورة لالتقاء الساكنين كما قالوا : فداءِ لك فبنوه على الكسر ، والمعنى ليس حين مناصنا ولا حين منجانا ، فلما قال : ولات أوان جعله على معنى : ليس أواننا ، فلما حذف المضاف بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء الساكنين ، والكسر شاذ

---

(١) الطور /٢٣ . (٢) الكتاب ١/٥٨ . (٣) تقدم هذا البيت هنا .
(٤) البقرة /٢ . (٥) معاني القرآن وإعرابه٥/٦٣ ، ٦٤. (٦) القصص /٢٨ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٤١ ، ١٤٢ . (٨) سورة ص /٣ .
(٩) من الخفيف ، وانظره في الخزانة ٤/١٨٣ : ١٩٥ ، والخصائص ٢/٣٧٧ ، والمسائل الشيرازية لأبي علي ١/٢١٠ .

شبيه بالخطأ عند البصريين ، ولم يرو سيبويه [1] والخليل الكسر ، والذي عليه العمل النصب والرفع ، وقال أبو الحسن الأخفش : إن (لات حين مناص) نصبها بـ(لا) كما تقول : لا رجل في الدار ، ودخلت التاء للتأنيث " [2] .

قلت : نصب (حين) في الآية متفق عليه من السبعة القراء ، ورفعه قراءة غير متواترة تنسب إلى عيسى بن عمر وأبي السمال [3]، وجره قراءة غير متواترة تنسب إلى عيسى بن عمر [4] .

(إن) النافية :

لم يرد في المعاني حديث عن إعمالها عمل ليس ، والذي ورد فيه قوله في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5] : " (إن) بمعنى (ما) ، المعنى : ما هو إلا وحي يوحى " [6] .

(١) انظر : الكتاب ٥٧/١ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٠/٤ ، ٣٢١ .
(٣) انظر : البحر المحيط ٣٨٤/٧ ، والتصريح ٢٠٠/١ .
(٤) انظر : روح المعاني ١٦٣/٢٣ ، ١٦٤ .
(٥) النجم /٤ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٧٠/٥ .

obeikandl.com